كتاب اسرار الباطنيه لمحمد بن مالك

(٣)

باب ذكر على بن فضل الجدنى لعنه الله :

من ذرية ذى جدن و(الاجدون) من سبأ صهيب واصله من جيشان (١) وكان فى اوله ينتحل الاثنى عشرية فخرج للحج ثم زار (٢) قبر النبى صلى الله عليه وسلم ثم مضى الى الكوفة لزيارة قبر الحسين بن على رضى الله عنه فلما وصل الى الكوفة وزار قبر الحسين رضى الله عنه بكى على القبر بكاء شديدا وجعل ينـــوح ويقول : بأبى انت ياابن الزهراء المضرج بالدماء الممنوع من شرب الماء وكـــان ميمون القداح على القبر وولده عبيد فلمايصرا به سرهما وطمعا به وعلما انه ممن يميل اليهما ويدخل فى ناموسهمافقال ميمون أيها الشاب ماكنت تفعل لورأيت صاحب هذا القبر ؟ قال : اذا والله أضع له خدى وأجاهد بين يديه حتى أموت شهيدا فقال له ميمون اتظن أن الله قطع هذا الامر ؟ قال له على بن فضل لا ولكنى لااعلم ذلك فهل عندك منه خير ايها الشيخ ؟ فقال: اخبرك به ان شاء الله عند الامكان ثم قام ميمون فتعلق به فقال ميمون تقف بهذا المسجد الى غد فوقف اياما فلم ير له خبرا فودع اصحابه وقال لهم اما أنا فلا ابرح هاهنا حتى اتنجز

(١) جيشان ، والاجدون ، وسبأ وصهيب، بلدان فى اليمن معروفة الى اليوم .

(٢) لاعجب فى قصده القبور للزيارة وهى مخالفة للشرع لانه باطنى زنديق

وعدا قد وعدته فأخذ له من المؤونةمايكفيه فوق اربعين يـــوما وميمون وولده يرمقانه من حيث لايعلم بهمافلما رأى ميمون صبره أعجبه وعلم انه لايخالفه في شيء من دعوته والميل الى كفره وضلالته فأتاه عبيـد فوثب اليه فاعتنقه وقال سبحان الله ياسيدى وعدنى الشيخ وعدا فأخلفنى فقال لم يخلفك وانما قال انا اتيك غدا ان شاء الله ونه في هذا مخـــرج على ضميره ثم جلسا وجرى بينهما الكلام وقال له ياأخى اعلم ان ذلك الشيخ أبى وقد سره مارأى من صبرك وعلو همتك وهو يبلغك محبوبك ان شاءالله ثم اخذه بيده فأوصله الى الشيخ فلمارآه قال الحمد لله الذى رزقنى رجلا نحريرا مثلك استعين به على امرى واكشف له مكنون سرى ثم كشف له أمر مذهبه لعنهمــا الله فأصغى اليه واشرأب قلبه وتلقى كـــلامه بالقبول وقال له على والله ان الفرصة ممكنة باليمن وان الذى تدعو اليه جائز هناك وناموسنا يمشي عليهم وذلك لما اعرف فيهم من ضعف الاحـــلام وتشتيت الرأى وقلة المعرفة بأحكـام الشريعة المحمدية فقال له ميمون انا موجهك الى المنصور الحســن بن زاذان وكان ينسب الى ولد مسلم بن عقيل بن ابى طالب وكان ابوه ممن ينتحل مذهب الشيعة الاثنى عشرية وكان من اهل الضلالة وكان من اهل الكوفة فلمادخل ميمون الكوفة وظفر بالحسن بن زاذان علم انه مسعود وانه ينال ملكا وشرفا وذلك من طـــريق معرفته بالنجوم والفلسفة فجعل ميمون يلطف به ويرفق فيكشف له مذاهب الفلسفة ومقالهم فلم يزل به حـــتى قبل منه وركن الى قوله ومازال به حتى مال الى معتقده وصار من دعاته الذين يدعون اليه والى ولده . فعند ذلك قال ميمون ياابا القاسم ان الدين يمانى والحكمة يمانية وكل امر يكون مبدؤه من قبل اليمن فانه يكون ثابتــا لثبوت نجم النجم وذلك ان اقليم اليمن اعلى اقاليم الدنيا ولابـــد من خروجك الى هنالك انت واخـــوك على بن فضل اليمانى فسيكون لكما شأن وملك وسلطان في اليمن فكونا على اهبة فقال له الامر اليك ياسيدى قال المنصور فكنت اناوعلى بن فضل وعبيد لانـــزال نكثر المذاكرة في مجلس الشيخ وكان يقول عند تمام الوقت ومضى ستة أدوار من الهجرة المحمدية ابعثكـــما الى اليمن تدعوان الى ولدى هذا فسيكـــون له ولذريته عز وسلطان وأخذ على وعلى على بن فضل العهود والمواثيق لولده فلما كان أوان خروجنا قال لنا ميمون هذاهو الوقت الذى كنا ننتظره، فاخرجا

فى هذا الموسم ثم وجهنا الى اليمن نتظاهر بالحج وعهد الينا ثم خلا بى وأوصانى بالاستتار حتى ابلغ مـرادي وقال لى الله الله بصاحبك فاحفظه واكرمه بجهدك ومره بحسن السيرة فى أمره فأنه شاب ولا امن نبوته وخلا بعلى بن فضل وقال الله بصاحبك وقره واعرف له حقه ولاتخالفه فيما يراه لك انه اعرف منك وانك ان خالفته لم ترشد ٠

قال المنصور فلما صرت فى بعض الطريق لحقنى كمد عظيم لحال الغربة واذا بحاد يحدو ويقول :

ياايها الحـــادى المليح الزجر نشر مطايـــاك بضـوء الفجـر
تدرك ماأملتـــــه من أمـــر

قال فلما سمعت ذلك سررت به واستبشرت فوصلت مـــكة مع الحاج وذلك فى ايام محمد بن يعفر الحوالى(١) ثم اقبلنا نسأل عن اخبار اليمن فقيل لنا ان الامير محمد بن يعفر رد المظالم واعتزل عن الناس ورجع الى التنسك والعبادة فقلنا ولم فعل ذلك؟ فقيل لنا انه قيل له أن فى هذه السنة يخرج عليه خارجى فيكون زوال أمره على يديه ويقال انه رد فى يوم واحد ألف دينار وكان فى بنى حوال رجل يقال له ابراهيم فقال:

ياذا حـــوال يامصـــابيح الافق تداركوا عزكـــم لاينفتـــق
فتطلبون رتق مـــالا يرتتق فأيكم قـــام بها فقد سبق

فقام ولد محمد بن يعفر ٠

قال محمد بن مالك الحمادى رحمه الله :

فلما خرج على بن فضل مع الحاج هو والمنصور وصارا فى غلافقه (٢) افترقا وقال كل واحد منهما لصاحبه أعلمنى بأمرك ومايكون منك فوصل

---

(١) بنو يعفر من حمير بقية الملوك التبابعية استبدوا بصنعاء مقيمين للدعوة العباسية وكان اخرهم اسعد بن يعفر ثم اخوه محمد فدخلوا فى طاعة بنى زياد ٠

(٢) وهى تعرف اليوم بغليفقة بلدة بساحل اليمن كانت من اشهر موانيه ٠

المنصور الى الجند (١) وصاحب الامرعلى بن فضل الى ناحية جيشان • فأما يومئذ جعفر بن ابراهيم المناخي وخرج المنصور فان ميمونا كان قال له لايظهر أمرك الا من موضع يقال له (عدن لاعة) (٢) فانه اقوى لامرك وامضى لناموسك وانما دله على ذلك الفلسفة وعـرف ماسطره فى كتبهم من تسمية الاقاليم والبلدان وتقويم الكواكب السبعة فلماصار المنصور الى الجند سأل عن (عدن لاعة) فقالوا لانعرف الا (عدن أبين) (٣) فدخل (عدن ابين) بتجارة تصلح لعدن كما يفعل التجار فأقام ايامافيها يسأل عن (عدن لاعة) مدة بقائه هنالك فبصر به شيخ من تجار عدن فأنكره فسأله عن حاله فقال انا رجل من اهل العراق وكنت حاجا فى هـذه السنة قال فهل عندك خبر ؟ فقال : لست صاحب اخبار وعما تريد ان اخبرك عنه ؟ قال له العدنى هل حدثت فى الشام احداث ؟ فقال : لاعلم لى بشىء فلم يزل به حتى اعلمه ما فى ضميره فعاهده المنصور على كتمان سره وسأله عن (عدن لاعة) فقـــال هى معروفة ولايزال اهلها من التجار يصلون الينا وأنا اعلمك بهم اذا وصلوا يقال ان هذا العدنى جد بنى الوزان فاسدى المذهب وبنو الوزان الى اليوم رفضة شيع فلما وصل التجار من (عدن لاعة) ومن عيان (٤) فسألهم عن الموضع فأخبروه عنه وانه فى ناحية بلادهم وهى قرية صغيرة فمن اعلمك بها من الناس، قال الناس يسمعون بذكر البلدان ، فلماعزموا على الرحيل تأهب للخروج معهم وقال انا رجل من اهل العلم وقد رغبت بالخروج معكم الى بلدكم ففرحوا به وأكرموه وقالوا مرحبا بك نحن احوج الى من يبصرنا فى أمـــر ديننا ونحن نكفيك المؤونة ونحملك فأثنى عليهم وشكرهم وقال لاحاجة لى فيما عندكم وانما اردت وجه الله تعالى فارتحل معهم فكان يسامرهم ويروى لهم احسن الاخبار فأحبوه واصغوا اليه والى قوله فكانوا يحدقون به اكراما له وتبجيلا

---

(١) الجند : مدينة باليمن تبعد عن صنعاء جنوبا بستة أيام (٢) وهى اول موضع ظهرت فيه الدعوة الاسماعيلية باليمن منها قام منصور اليمن ، ومنها قام محمد بن الفضل الداعى سنة ٣٤٠هـ وممن وصل اليها من الدعاة ابوعبدالله الشيعى صاحب الدعوة بالمغرب وفيهـــا قرأ الصليحى فى صباه كما ذكره عمارة •• عدن لاعة : بلدة فى غرب صنعاء تبعد عنها مسيرة ايام • (٣) عدن ابين : هى عدن لحج الثغر الطبيعى لليمن • (٤) عيان : بلدة فى اليمن بالقرب من عدن لاعة •

حتى قدموا (لاعة) فادعى الفقه ومذهب السنة والجماعة فتسامع به الناس وأقبلوا اليه من كل ناحيـــة وهو مستعمل الورع وحسن السيرة حتى مالت اليه مخـــاليف المغرب (لاعة ،واردان (١) وحجه وعيان ، وبلدان البياض (٢) فأمرهم بجمع الزكاة عن اموالهم فاستعمل عليهم منهم ثقات وعدولا يقبضون اعشار أموالهم على مايوجبه الفقه فأقام سنتين بعد قتل (محمد بن يعفر) ، واختلاف بنى حوال فيما بينهم فقال لهم قد رأيت ان تبنوا موضعا منيعا يكون لبيت مال المسلمين فعزموا على ذلـــك ولم يخالفوه فيما أمرهم به فأجمعوا على بناء موضع يقال له (عبر محرم) وهو جبل تحت مسور وهو موضع بنى العرجى قـــوم من سلاطين المغرب همدان فلما بنى الجبل وحصنه حمل اليه كل مايحتاج اليه بعد ان ساعده الى ارادته خمسمائة رجل واخذ عليهم العهود والمواثيق ثم انه بعد ذلك ارتكـــب الحصن هو وأصحابه ونقلوا حـــريمهم وأموالهم بعد أن اخرج الحوالى عسكرا فى جنح الليل الى موضع كانوا فيه يقال له (الحيفة) فى ناحية (لاعة) فقتل من أصحاب المنصور اثنى عشـــر وارتكب الجبل (عبر محـــرم) بمعاملة لبنى العرجى وانكر الناس امره واضرموا النار لحربه فكتب اليهم انى ماطلعت هذا الجبل الا لاحصن به نفسى من السلطان فلم يقبلوا منه وجاسوا اليه فقاتلوه فهزمهم وقتل منهم بشرا كثيرا فعظم حينئذ شأنه وشاع الى جميع العشائر ذكره وبلغ الامير ذلك فكتب الى جميع العشائر حوله يحرضهم على قتاله فقاتلوه مرارا وهو ينتصر عليهم ثم استنجدوا عليه رجلا من سلاطين شارو يقال له ابواسماعيل وبالحوالى صاحب صنعاء فامـــدوهم بالعساكر الكثيرة فهزمهم وقتل منهم قتلا كثيرا فازداد بذلك ذكره وعظم امره ودخل فى طاعته من كان حوله طوعا وكرها واستعمل الطبول والـــرايات وأظهر مذهبه ودعا الى عبيد بن ميمون وكان يقول والله مااخذت هذا الامر بمالى ولابكثرة رجالى وانما أنا داعى المهدى الذى بشـــر به النبى صلى الله عليه وسلم فانهمك اليه عامة الناس ودخلوا فى بيعته ثم سمت به همته الى ارتكاب جبل مسور حصن يقال له (فاير) (٣) فيه خمسمائة رجل ومأمور للحوالى فلم

---

(١) لعلها عزان (٢) بلدان باليمن معروفة الى اليوم تابعة لقضاء حجة .

(٣) حصن من امنع حصون اليمن الى يومنا هذا .

يزل الملعون يتلطف حتى عـــامل مع عشرين رجـــلا منهم فارتكب الجبل بالليل فأصبح فى رأسه وقصد من كان فى (بيت فاير) وفتحوا له العشرون الذين عاملوه وقالوا (ادخلوها بسلام آمنين) فقال المنصور اخرجوا منها فانا داخلون • وسأل صاحب الحصن الامان على نفسه ومن معه فأمنهم فلما رأى المنصور صاحب الحصن مقبلا نـزل عن دابته ومشى اليه واعتنقه فـزال عنه الرعب : وقال له : ان معى مالا للسلطان فمن يقبضه ، فقال المنصور لعنه الله : لسنا ممن يرغب فى مال السلطان وماطلعت هذا الجبل لاخذ اموال الناس وانما طلعـــت لاصلاح الاسلام والمسلمين خذ مال صاحبك فأده اليه فذكروا انه لعنه الله طلع جبل مسور فى ثلاثة الاف رجل ومعه ثلاثون طبلا فكانت طبونه اذا ضربت سمعت الى المواضع البعيدة من المغرب ثم انه بعد ذلك حصن الحصن ودربه وبنى فيه دار الامرة وهو بيت ريب وهو اول من أسسه وجعل فيه من يثق به من اهل مذهبه ثم بنى بيت ريبة ودرب الجبل من كل ناحية وجعل له بابين وبنى فى بيـــت الريبة قصرا وسماه دار التحية فعند ذلك أحـــل ماحرم الله وكان يجمع اصحابه فى ذلك القصر ونساءهـــم ويرتكبون الفواحش وأقام يحارب من حوله من القبائل ويبعث اليهم بالعساكر فأبادهم وأخذ اموالهم وقتل رجالهم حتى دخلوا فى طاعته كارهين ذلك واستولى على جميع مخاليف المغرب قهرا واستعمل عليهم رجلا من اهل مذهبه يقال له ابو الملاحف فأقام بناحية جبل (تيس) واليا للمنصور وخرج بنفسه وعساكره الى بلاد (شارو) فاستفتحها وحاصر صاحبها أبا اسماعيل الشاورى سبعة الى مسور ثم خرج الى ناحية (شبام أشهر حتى استنزله من حصنه ورجع حمير(١) فأقام يحاربهم لمدة طـويلة وخرجت عساكره الى ناحية المصانع من بلدة حمير فأقام هنـــاك فى مراكز الحمير فتحموا عليه وقتلوا جماعة من عسكره فأنهزموا الى مسور فغفل عنهم أياما يسيرة وعامل رجـــلا يقال له الحسين بن جراح وكان فى الضلـع (ضلع شبام) واليا على أن يعضده على شبام ويكون امرها اليه فعاقده على ذلك وخرج بنفســـه وعساكره وقام معه الحسين بن جراح ففتح (شبام

---

(١) شبام حمير : مدينة باسفل جبل كوكبان وهى غير شبام حضرموت •

الاهجر) فأخرج منها بنى حوال وحمل الى مسور جميع ماغنمه من مسالك بنى حوال وأموالهم وأقام هناك شهرا وندم ابن جراح على ماكان منه فى معاملته وخاف على نفسه وحالف رجلا يقال له ابن كبالة من قواد بنى حوال كان واليا على صنعاء فجاش ابن كبالة بقبايل حمير وهمدان وخالف ابن جراح القرمطى فصاروا فى وجهه وابن كبالة يقابله على درب شبام فضاق حال الملعون القرمطى وخرج منهزما بالليل هو وأصحابه الى مسور فذكرا انه ماخرج الا بنفسه وترك خيله وأقام فى شبام حتى رجع لها القرمطى ثانية وذلك عند دخول على بن فضل صنعاء وأنا اذكر ماكان منهما لعنهما الله .

وقد كان المنصور كتب قبل أن يختلف هو وعلى بن فضل الى ميمون وولده يخبره بما فتح من البلاد ووجه اليهما بهدايا وطرف من طرف اليمن وكان ذلك فى سنة تسعين ومائتين فلما وصلت هديته الى القداح وولده سرهما ذلك وقال لولده هذه دولتك قد اقبلت .

ثم ان المنصور أقام فى مسور الى ان جرى بينه وبين على بن فضل الجدنى اختلاف ومحاربة وانا اشرح ذلك فى موضعه ان شاء الله تعالى .

وكان موت المنصور لعنه الله سنة اثنتين وثلثمائة وولى الامر من بعده عبدالله ابن عباس الشاورى .

طبقات القراء

جن جنون أحدهم اذ نشرت احدى الصحف مقالا نقدته فيه نقدا لاذعا ، وجاء الى صديق حكيم يستشيره ويقول : ماذا أفعل ؟ فقال له : لو كنت مكانك لما فعلت شيئا . فنصف الناس الذين يقرأون هذه الصحيفة لم يقع نظرهم على المقال ، ونصف الذين وقع نظرهم عليه لم يقرأوه ، ونصف الذين قرأوه لم يفهموه ونصف الذين فهموه لن يصدقوه ونصف الذين صدقوه لا خطر لهم ولا شأن على أية حال !!